

السياسى الدولى

أو الدبلوماسية

بقلم جول كامبون

من الاكاديمية الفرنسية

الدبلوماسية

ما أكثر نواحي العمل الذى يتولاه السياسى الدولى . وما أقل القواعد الصريحة التى يدبر عليها . وما أكثر التقاليد التى يخضع لها . وما أشد حاجته الى الحرص والدأب فيما يريد ، من النجاح الذى يتوقف على الظروف . وما أشد اضطرابه الى التزام النظام الذى لا يكون بلا خلق متين وعقل مستقل . لكل أمة أخلاقها وعاداتها وأسااليبها . لا يتجرد السفراء منها مقامهم بين أمة أجنبية . ولا كنهم بحكم مهمتهم التى تحتم عليهم خدمة بلادهم ، وعدم إثارة ضغن بين معاشرهم مضطرون للملاءمة البلاد التى يعيشون فيها . رأى « لابرور » الذى كان يعيب على السياسى نائره بالزمان والمكان وأخلاق الرجال . مهمة السياسى هى « ألا يخدع وأن يخدع سواه » ولكن لا روشفو كول . وهو أعرف منه بدخائل السياسى . كان يقول « ليس أيسر من الخداع الانسان عند ما يحاول خدع الآخرين » على أن اعتبار الزمان والمكان وأخلاق الرجال ليست من الغباوة فى شىء . وكذلك ليس من الخداع فى شىء أن تدرف الحرص والانتظار . والفارق بين السياسى وجهور الناس انه يعيش غريبا عن أهوائه الشخصية شديد الصون لاسرار والشرب فى ذلك مختلفة . منها ما يجب من السياسى الصراحة ، ومنها ما يجب منه الغموض والكتمان والظهور بغير ما يريد ان يتوهم الناس أن السياسة دسيسة ، ومن لا يعرف الدسيسة من السياسيين متهم بالتفرغ للهو والملاذ . ومنهم من يحسب دور السياسة مسارح تجرى فيها الحوادث بتدبير سابق . وأقدر الساسة عندهم من كان ما كيا فى الطبع يحكم تدبير التنكائية ، ناسين أن ريشايو و بترمرك انفسهما لم يمدكا ناحية الحوادث ، التى تجرى على

ما يريدون وعلى عكس ما يريدون. والقول في ذلك ماقاله فردريك الثاني « ليس فن السياسة اختلاق الحوادث بل الاستفادة منها . »

والفارق بين السفيرين ووزير الخارجية أن هذا يجمع آراء ومعلومات سفرائه يوازن بينها ويرتب عليها مصلحة بلاده . على أنه يعيش في بلاده ، أما الآخر فهو يخالط أمة غريبة يتعرف أخلاقها وعاداتها وميولها وقدرتها ومهمته أن ينقل ما يرى وما يعلم الى الوزير لا يتعدى حقوق منصبه . ولكنه لا يكون أشبه شيء بصندوق البريد فله رأيه وله أن يبدى للوزير . والا كئن خطراً على بلاده . وعليه ترى مهمة السفير أن يكتسب بصدقه ثقة الحكومة المعين لديها وثقة حكومته . قل ما كيا في الذي لا يعرف الناس حقيقة قدره لسفير فلورنسا لدى شارل دانت « على السفير أن يجهد نفسه ليرى الناس أنه رجل لا يظهر غير ما يبطن » . ومن هنا ترى أن الصفة اللازمة للسفير ليست الخداع . إنما هي المهارة الخفية . وقد عرفها شوازل بقوله هي أن تقول الحقيقة أحياناً في شدة . ودائماً في لطف ، ومعنى ذلك أنه يتعين على السفير لاداء مهمته الا ينضب أحداً وأن تكون له منزلة في كل ناد من نوادي الأمة التي يعيش بين أهلها

والتعرف بأمة معناه النفوذ الى روحها والعيش في جو أفكارها وفهم المصلحة بين سياستها الخارجية وحالتها الداخلية . ولا يصل السفير الى ذلك بمحادثة الوزراء ورجال السياسة ، فقد يعلم حديث طائش ما لا يعلم من مناقشة جدية ، ولا يدل على حقيقة الحال ومواقف الأحزاب اكثر من النوادي ، وقد يفيد من سيادة كبيرة ما لا يفيد من سياسي خبير

وأشد ما يجب أن يحذر السفير هو الاستهتار ، وكفى أن يعرف عنه ذلك حتى تنجبه الاذواق وتذكره النفوس وينظر اليه بالارعاية ولا احترام . دلي أن شدة الحرص والتزام الجسد ، العيوس تدعو الى النفور والحذر ، وقد تقضى على الثقة ، فلم يكن أحد أصرح من تاليران والبرنس بزمارة في أحاديثهما الخصوصية . كذلك من يكثر الهشاشة ويفرط في التحجب والتقرب يحسب أن ذلك يكسبه الثقة والمحبة ، على أنه بتفريطه هذا قد يفشى من الاسرار ما لا يجوز افشاؤه .

ليست السياسة الخارجية مسألة عواطف، إنما هي إخضاع الحوادث العارضة للقوانين الدائمة التي تتحكم في مصير الأمم . وهذه القوانين موجودة . وليس حكمها في يدنا، ومصالح الشعوب لا تتغير، الطبيعة والموقع الجغرافي والاخلاق هي التي تقررهما .

ومهما اختلفت سياسة البلاد الداخلية لا بد أن تبقى سياستها الخارجية على حكمها التقليدي لا يغير منها شيء إلا إذا اقتضته ضرورة جديدة، كأن تنشأ الرغبة في الاستعمار، فيقتضى ذلك إنشاء الأساطيل . وهذا يوجب النظر فيما يجيد من العلاقات بينها وبين الدول البحرية، ومبلغ ما يكون لهذه العلاقات من الأثر . كما كانت الحال بين ألمانيا وإنجلترا حين قال غليوم . إن مستقبل ألمانيا فوق البحار، وجد في إنشاء المدرعات فأحدثت هذه الحالة الجديدة أثرها في الحرب الكبرى .

يجب ألا يهني السياسي بشيء سوى النجاح وألا يثير حول نجاحه ضجة، لأن انتظار كل الخطار في استنفاز أنانية الخصم . على أن النجاح لا يدوم إلا إذا كان باتفاق الجانبين فيجب أن يتواري السفير ليرضى الحكومة التي يعمل لديها وحكومة .

ليس هذا فقط، بل عليه أيضاً أن يكون أملك لنفسه ولسانه من أي كان حتى لا يكشف خصمه عن مآلاته وأنجب ما يعجب له الجمهور اليوم . هو ما يراه من الائتلاف والتقرب بين السفراء . كأنهم يعيشون أصدقاء

المفاوضات

كان بيورك يقول « إن الحكم اعتداء » فليسفير، علق بالوزير، والمفاوضة تفاهم واتفاق . والسياسة الدولية لا تعتمد على القانون وصرامته، بل تنظر إلى الوقائع والرأي العام، وتنحني أمام الضرورة . وتخشى النتائج العاجلة والآجلة، وتحتمل خطأ لتجتنب ضرراً، وهذا يبعد بالمفاوضة عن الأخذ بالخصوص . ودهما قيل عن القانون الدولي فإنه لا يزال بعيداً عن القوانين المدنية الداخلية، لأن أيديته المعاهدات

وهيئات التحكيم المتفق عليها . ومحكمة لاهاي ، فليس له من قوة تكفل تنفيذه .
لذلك تلجأ الأمم إلى السيف وجهود السياسة اجتناب هذا الحكم .

من الاوهام الشائعة في الدوائر السياسية أنه لا حق لأمة سوى ما نصت عنه
معاهدة ، ولكن الشعوب أشخاص أدبية لها حياتها ، قد تنحى دولة من خريطة
أوروبا ولكنها تبقى حية ، مثال ذلك إيطاليا وبولونيا ، فلهيئات التحقيق من نظر
إلى ذلك وأفسح صدره رحباً في مفاوضاته ولقد رأينا بعض المفاوضين يسمو إلى
التفكير في مصلحة أوروبا عامة لا اعتقادهم أن سعادة دولية جزء من سعادة
المجموع الأوروبي . يغيبون اليوم ما كان معروفاً بسياسة التوازن ، على أن جمعية
الأمم ليست سوى أداة لهذا التوازن ، ليس السفير حكماً ، ولكنه مضطراً إلى احترام
عواطف البلاد التي يفوضها . ليحتمل مسؤولية ما يعقد من الاتفاقات

ولكن هذه الاتفاقات تذهب أحياناً بكثير أو قليل من الآمال فيحتم عن
ذلك غضب الشعب على المفاوضين . وقال لارشفوكول ، أن الذي يسيئنا من
المفاوضين هو اهتمامهم بمصلحة أصحابهم في سبيل مصلحة المفاوضة ذاتها التي تصبح
مصلحة المفاوضين أنفسهم بما يكسبوا من المجد بنجاحهم ، وأراى عندى أن
السياسى الحكيم ، هو الذى لا يلتفت كثيراً على تهليل الجمهور بل هو الذى يتذرع
بالصبر والحذر يعمل بذوقه السليم وعقله الحر

ليس المقصد من رجل حرم الذوق السليم . على أن حرية العقل وإصالة الراى
الزام ما يحتاج اليه السياسى يتبين بها متناصد خصمه ومرايه ، ويسير على صوءها
إلى حقيقة ما يقصد اليه

القدرة على انتظار الغرض لا تقل عن هذه لزوماً . وقد تهب الرياح على غير
ما يشتمى ، فلا بد من اللف والدوران للدخول إلى الميناء بلا مبالاة بما يقوله من
لا خبرة لهم .

وأخيراً لابد للمفاوضين من كتمان سره رعاية لرئيسه الوزير ولتقارن من يفوضه
لا تخرج المفاوضة عن حديث لا يجوز إفشاءه لأن إفشاء ما يقع اثناءه من تردد وتقلب
وتراجع وعرض ورفض يقطع على المفاوض خط الرجعة ، ويعرض المفاوضة للفشل

لقد كره الناس اليوم المفاوضات السرية تساعدهم الصحف على المطالبة بمعرفة تفاصيلها . وأصبحت الحكومات مقيدة . إلا أنها لا تجرد مندوحة عن كتابتها . والحقيقة أن المفاوضات ترجع في البلاد الحرة الى برلماناتها . فلا تعقد معاهدة إلا بعد تصديقها عليها . فإذا كانت المفاوضات سرية فإنها متى أفرغت في قالب عهد واتفاق ذهبت سريتها . على أن طبائع الناس لا تزال كما هي منهم الدسائس الذين يتربصون بالمفاوضين الدوائر يكيدون لهم ويفشون ما يعدون عن أحاديثهم فيسيئون الى مصلحة البلاد التي يدعون خدمتها . فمن خبر خدمة وطنه في بلاد أجنبية علم أنه متى بطلت المفاوضات السرية بطلت المفاوضات جملتها ، والحال في السياسة مثلها في الآلات الميكانيكية لا تقدر قوتها الدافعة بلا تقدر قوة المقاومة . قال بزمارك ، إذا أردت أن تشتري حصانا فانك لا تعلن بين الملاء أغلى ثمن تدفعه وإذا أردت أن تبيع حصانك لا تعلن أقل ثمن تطلبه . فلا بد للسياسة من اتباع هذه الحكمة الاولى .

يتوهم البعض أن السفير متى قدم أوراق اعتماده صار في وسعه أن يبدأ البحث في جميع ما يهم حكومة بلاده . على أن أوراق الاعتماد ليست سوى تعارف يتحول له حق الكلام باسم حكومته . ولا يستطيع البت في شأن بلا إن خاص من رئيسه لذلك يذكرون في مقدمة كل اتفاق أن أوراق الاعتماد والتصريح فحست ووجدت صحيحة . على أنه قد يكون للسفير شخصية معينة على اكتساب الثقة ، كما حدث في حرب الولايات المتحدة واسبانيا . وكنت سفير فرنسا في واشنطن فمهدت الى اسبانيا بالنيابة عنها في عقد الصلح ، وكان لي الشرف أن وثق للرئيس الجمهورية الامريكية المستر ماك كفلى بكلمتي . فأوقف رجلي الحرب قبل وصول التفويض الى من مدريد بالتوقيع على الاتفاق .

السفراء والسياسيون

ان رجال السياسة الذين تقضى عليهم صناعتهم كتمان ما يعملون محررومون بذلك وحده مما يخص به المؤرخون رجال الحرب من الاطراء . فكم خدمة صادقة وعمل نافع أدى أولئك لبلادهم . ولكن تلك الخدمات والاعمال بقيت سرا

مكتوماً لا يعرف الناس عنها كثيراً ولا قليلاً. وإذا مضى الزمن واهتدت يد مؤرخ
الى سجلات السياسة وأراد تدوينها، فاته الكثير من ظروف تلك الحوادث
ودقائقها ومقتضياتها فلا ينال السياسى من حقه سوى لمحات خفيفة ناقصة
فلو أردنا اليوم ذكر أولئك العظماء بأعمالهم الخفية لاضطررنا الى سرد تاريخ
السياسة ومجملاته الضخمة على ما يعوزها من روح زمانها.

من الساسة فيما مضى من كان يتف عزمه على رأى يعتقده الصواب كما تتغير
الظروف. ولا يغير منه شيئاً، وقد يفلح بعض الفلاح ولكن الحوادث الجديدة
تكتسحه وتذهب بجهوده، ومنهم من كان حولاً قلباً يلبس لكل حال لبوسها
ولكنه لا يترشح عما وضعه نصب عينيه من خطة مرسومة وأمل معقود. فهو مع
الثورة يخدم غاية معينة، وهو مع الامبراطور يخدم تلك الغاية، يتنقل من حزب
الى حزب دون أن يفرط فيما قصد له. يبنى. فإذا هدمت الحوادث ما بنى. يمد يد الى
الانقراض، ويعيد البناء وفق ظرفه على أن يكون وافياً لغرضه.

بفضل هؤلاء الذين لا يشيد التاريخ بذكرهم، أقيمت الأمم واستقرت ونهضت
الى أوج مجدها. هم لها إذا هبت العواصف من الخارج أو اضطراب موجهاً في الداخل قوة
وعدة للكفاح والحياة. فما أسعد البلاد التي تنجب مثل هؤلاء المفكرين المخلصين.

الهيئة السياسية

يقولون ان الحكومات اليوم لا تحتاج الى هيئة سياسية أى رجالاً اخصائيين
قد ترسوا بالشئون السياسية. وأن الديمقراطية. تكره هذا النوع من الانتخاب
الصناعى، لذلك يجب الاستغناء عن تلك المهنة. ولكن الحقيقة العملية تثبت
أنه إذا كان هذا الاستغناء ممكناً في عهد الملكية لسير حكومتها فى طريق محدود
على نوع ما. فإن ذلك لا يمكن فى عهد جمهورية تمر بها الحكومات مروراً لا يسمح
للوزراء برسم سياسة ثابتة، وهذه الولايات المتحدة التي يفصلها عن العالم المحيطان
الاطلنطيقى والهادى، قد بدأت تشعر بالحاجة الى هيئة سياسية، فإذا كانت تجدد
تعيين سفرائها بعد كل انتخاب لرئيس الجمهورية، فقد جعلت من نظامها الثابت
الموظفين الثانويين ثابتين. وجرت العادة في فرنسا أن يقضى الشاب المرشح للأعمال

السياسية زمنًا طويلاً . للمران في السفارات ، يقضى بعد ذلك امتحاناً يُفرض من اجتيازِهِ الى منصب أسمى بلا مراعاة لمقامه أو نسبه أو شهاداته . ولقد لاحظ « سانت بوف » ان كثيراً من شئون المجتمع والحياة والعالم الجديد يتعاملها الانسان من الهواء والجو والعلاقات اليومية ، فالاعتماد فيها على الامتحانات ليس له سوى طاهر من العدل . فلا بد أن يعرف العلم بمعرفة الحياة والتبصر بالامور وادراك الحقائق الراهنة . لا بد من الفطنة والذكاء وهما ليسا بما يلحق في المدارس ، وقد عاب أحد المظلمين بالشئون السياسية وطبائعها على الحكومات . حصر اختبارها في طبقة من الشعب . قائلاً ان أكثر هؤلاء السيادة لا يصلحون الا لسفارة احتفالات ، لالة مفاوضات ، قد يصلحون للمخطابة في حفلة ميلاد أو عرس أو تأبين ولكنهم لا طاقة لهم على الاعمال السياسية ومشاقها .

للحكومات الحق في أن تتخير من تشاء لخدمة أغراضها على أن يكون هذا الاختبار حراً بين الحذر والنقد

أما الذين يدعون الى الاستغناء عن الهيئات السياسية فانهم قابعون في منازلهم لا يطلون من نوافذها . اذا كانت الولايات المتحدة تستطيع ذلك فلأنها تعيش بعيداً عن جارات متاخمة ومنافسة ومزاحمة كما هي الحال في أوروبا . وكفى أن نعلم أن بسمارك . لم ين لحظة عن التقرب الى جيرانه والاتصال بهم يعرف دخائلهم فيستغل خيرهم ويتقى شرهم . وكان هذا دأب نابليون . وان صح فيه القول انه كان يسعى لصداقة ومحالفة جيرانه بالسيف . وهذه انجلترا بنظامها المعجيب ، تحرص على مكتب السياسي الدائم . فيكمل الدول في حاجة شديدة الى سياسيين محنكين يقف كل منهم دولته على أخبار جيرانهم ودخائل أطماعها ومقدار استعدادها ولا عبرة بتغير أسماء هؤلاء السياسيين سواء كانوا سفراء أو مندوبين المهم أن تبقى المهمة ذاتها

القناصل

قال مونتسكيو في كتابه روح الشرائع « ان للاعمال التجارية علاقة ضرورية بالاعمال العامة . ولقد انتهى عصرنا الحاضر الى ادراك هذه الحقيقة وليس أدل

على ذلك من مشاكل البترول والكوكوشوك وغيرها مما له أثره في السياسة الدولية . لذلك صار من المتعين على الحكومات أن تختار قنصلاتها من بين رجال السياسة والاشغال العمومية

وقال تاليران في تحديد وظائف القناصل « إن مهمتهم تختلف الى ما لا حد له ، عليهم أن يكونوا مواطنيهم في دوائرهم قضائية ومحكمين ومصلحين ذات البين ومسجلين شرعيين ومراقبين صحيين وعاليهم بيان كل ما يتعلق بالتجارة والملاحة والصناعة في البلاد التي يعيشون فيها . وارشاد مواطنيهم من تجار وصناع الى موارد الربح الحقيقية ويدونون ما يجب من البيانات في مذكراتهم الخاصة به . »

ولكن مهمة القنصل في بلاد الشرق قد تجاوزت حدودها الأصلية بما عقد بين الدول الأوروبية وبين دول الشرق من الاتفاقات المعروفة بالامتيازات الأجنبية . وأول اتفاق من هذا القبيل هو الذي عقد بين فرنساوى الاول ملك فرنسا والسلطان سليمان في الاستانة سنة ١٥٣٥ بانقضاء الرعايا الفرنسيين من حكم « القاضى » ومن ثم سارت أوروبا على مثال فرنسا وأصبحت لها امتيازات خصوصية في جميع الأمم الشرقية بحجة أن العدل في هذه الدول غير مضمون وأن التجارة غير مكفولة ولا ضامن لها .

وبقيت هذه الامتيازات نافذة المفعول الى أن ألقت اليابان نيرانها ونقضت تركيا للتخلص منها . والحقيقة أن أعمال القناصل لم تكن دائماً خالصة لحماية العدل والامانة وكثيراً ما نشروا حمايتهم على من لا يستحقون الحماية .

لا يعطى القنصل اعتماداً لدى الحكومة المنتدب اليها . وإنما يعطى خطاب تعارف ، فمهمته في أصلها ليست سياسية ، ولكنها في الشرق تحاول أن تكون كذلك حيث يتدخل القنصل في المنازعات الفردية التافهة ، ويتحمس لكل شكاة يرفعها اليه مواطنوه . لذلك كان بزمارك وتاليران وثيرر يشددون على القناصل أن يجتنبوا كل مشكلة لا أساس لها بسياسة بلادهم .

الحفوات الرسمية

كانت العبادة فيما مضى أن يحتفى بالسفراء احتفاء رسمياً لدى الممالك التي

يرسلون اليها . يحرص فيها السفير على مقام دولته وتظهر به الدولة الموفد اليها اكرامها لها. تجرى ذلك في حفلات غاية في الابهة والنفخامة يجتمع فيها السفراء الاجانب وكبار الدولة في قصر الملك . وكثيراً كانت تحدث أثناءها منافسات بين السفراء، وأخطاء من كبار الدولة أو السفير القادم تفنى الى مشاكل. وهكذا كانت الحال عند انقضاء مهمة سفير واستبداله بآخر. حيث كان ملك الدولة يقدم الهدايا والاموال للسفير الراحل .

تبدل كل هذا، وان كان لا يزال أثره ظاهراً عند تقديم أوراق الاعتماد. حيث تلى الناطب اعلاناً بالمودة والترحيب كما انهم اكتفوا عند توديع سفير أن يمنحه الملك نيشاناً أو يقلده وساماً . نلى أن الممالك لا تزال حتى الآن على تفاوت فيما يتعلق بهذه التقاليد .

لغة السياسة

استمرت اللغة اللاتينية حتى القرن السادس عشر بين الدول المسيحية لغة السياسة يتحدث بها في المؤتمرات وتكتب بها المعهود والاتفاقات . ومن ثم قامت بين الدول تلك الحدود الادبية التي فرقت بين ميولها القومية كما فرقت الحدود الجغرافية بين مواقعها . غير أن اللغة الفرنسية بفضل لويس الرابع عشر وفولتير. أصبحت لغة السياسة بين جميع الدول بحيث كانت بروسيا وروسيا وانجلترا تكتب وثائقها السياسية باللغة الفرنسية . ولكن الولايات المتحدة كانت على الدوام شديدة الحرص على لغتها فلم تكن تسمح بكتابة ميثاق دولي يتعلق بها الا باللغة الانجليزية ، ولذلك كُتبت معاهدة فرساي باللغتين الفرنسية والانجليزية .

الديمقراطية والحرب

لم يكن الألمان سنة ١٨٧١ قد جلوا عن سان دانيس وإن كان الحرب الاهلية كانت قائمة بين الفرنسيين، فقال جول سيمون : ان الحروب الاهلية والدينية هي التي يجد لها القتلى مبرراً . والحقيقة أنك تجد الجندي أشد صلابه واستبسالاً عند ما يحاول أن يحقق حلماً . وقال مونتسكيو، قبل روسو، متى اجتمع الناس ذهب عنهم الخوف . وبدأت الحرب . فعلى الدول أن تعمل ما كان يقول

به امرسون لكل فرد . « من لم يتغلب كل يوم على خوف فهو رجل لم يتعلم شيئاً من دروس الحياة » .

غير أن مما يغتبطله أن الانسانية بدأت تبغض الحروب الدولية . وما اتفاقات التحكيم ومحكمة لاهاى وعصبة الامم سوى أدلة على عاطفة عامة تجعل الحرب نادرة الوقوع . والفضل فى ذلك لرجل السياسة الذين أحدثوا هذا التغير فى النفوس . لذلك ترى اليوم الحكومات تناق المعاذير لتبرير ما تقدم عليه من حروب .

من الازهام ما يعتقد البعض من أن الديمقراطية حامية السلام . إن لهذه شعورها وشرفها وما ورثته عن الارستقراطية من الاهتمام بمصالحها المادية وكفى بهذه أسباباً قد تدعوا الى الحرب . غير أن الحقيقة التى لامراء فيها أن الحرب ستكون نادرة لان اقتياد شعب كامل أبعد نوالاً من اقتياد حكومة . فلو كان حزب المحافظين على رأس الحكومة الانجليزية سنة ١٩١٤ لما تردد فى اعلان عزمه على خوض غمار الحرب وربما حال اعلانها دون وقوعها . ولكن الشعب الانجلى عند ما علم اجتياح الالمانيين حياد بلجيكا لم يطق صبراً . فالنظم الديمقراطية عائق فى سبيل الحروب ومتى كانت الحرب بين الشعب لا بين الجيوش كانت أفضح وتماً وأشد هولاً .

لقد خرجت السياسة الداخلية والسياسة الدولية من مكتب الوزراء . وأصبح لرجل الشارع بما فيه من أهواء وغرائز وأوهام كلمة فيها وصار من اصعب الامور على السياسى أن يكبح جماحه فإذا كان للانسانية أمل فى تخفيف ويلات الحرب ان لم يكن منعها فلا ينتظر ذلك من الشعب بل يجب أن ينتظر من عصبة الامم

عصبة الأمم

قال فولتير « ان العالم قائم على متناقضات فماذا يجب لاغائها ؟ لو اجتمعت حكومات الجنس البشرى على مافي طبائع الناس لكان اتفاقهم تناقضاً جديداً » ان فكرة جمعية الامم ليست من مبتكرات ويلسون . فقد فكر فيها من قبل

سوالى وفنلون وسان يير . ولكونها لم تتجسم الا أمس مؤلفد شهدنا ميلاد عصابة الامم وسمعنا صوتها . على انها لم تنج من سخر أعدائها .

ان عصابة الامم تمثل انراى العام وهى تقف به في سبيل الخطاطرة والمخاطرين ولكن . انصارها أشد خطراً عليها من أعدائها بما يقدمون من مشروعات خيالية توهم اذا سائرون الى حياة تجعل الأرض فردوس النعيم . حيث لا خصام ولا شقاق بين الامم . يزعم هؤلاء أنه لم تبق حاجة الى السياسة لأن مندوبى الدول سيجمعون في جنيف . وفاتهم أن من السخف ما يذهبون من انتظام أعمال الحياة الدولية بقوة جمعية غير دائمة . اذا كانت جميع الامم تستطيع تسوية المعضلات الكبرى فمن الطائفي أنها لا تستطيع أن تفض جميع الاختلافات التى تشجر كل يوم بين الأمم . ولا سبيل لتسويتها بدون واسطة السفراء ورجال السياسة وكأن هؤلاء الواهين يحسبون أن المسائل تفض في جلسات البرلمان . ويجهلون أن جلها ان لم يكن كلها يعد في أروقة ودهاليز البرلمان . لا بأس أن لا يكون للسياسيين مكانا في عصابة الأمم ولكن الحاجة اليهم لازمة لمناقشة المصالح القومية واتخاذ التدابير لحمايتها .

ويذهب البعض الى ان تصور الشعوب قد أهملت مصالحها واستغنت عن المحالفات اعتمادا على عصابة الأمم التى تعتبر جميع الدول المستقلة فى منزلة واحدة فلا حاجة بهم الى الاتحاد لتقوية ضعفهم . وهذا هوس لا يخفى وهن عقول أصحابه . هب أن الولايات المتحدة انضمت الى جمعية الامم . أيعال أن تكون منزلة مثلها كمنزلة مندوب احدى جمهوريات أمريكا الجنوبية ؟ ألا يجتذب العظيم من الاتباع والمؤيدين مالا يجتذب الصغير ؟

كان الشائع في المانيا قبل حرب سنة ١٩١٤ أن لا معنى لبقاء دول صغيرة وأن الواجب ادماجها في الدول الكبرى . وكانت فرنسا تعارض هذه النظرية . جاءت عصابة الامم ، ولا يمكن أن تخلو من أحزاب ، فقررت بقاء الدول كبرها وصغيرها وأباححت التحالف بما نصت عليه من أنه لا بأس أن يعقد بعضها مع بعض اتفاقات وعهود يكون الغرض منها حفظ التوازن .

ويقول البعض اعتراضاً على هذه الملاحظات أن الحال في أوروبا لن تبقى على ما هي عليه وأن ستنتهي تحت رعاية عصبة الأمم إلى الانضمام والاتحاد تحت علم واحد. وتدعى الولايات المتحدة الأوروبية . ومتى تم لها ذلك استغنت عن المحالقات . ومن تأمل عبارة «الولايات المتحدة الأوروبية» علم أن أمريكا والصين واليابان وأستراليا تبقى خارجة عنها وحتى اصطدمت بمصالح هذه الولايات الأوروبية بمصالح غيرها وقعت الحرب لا بين دولة ودولة بل بين قارة وقارة . وهناك الفرع الأكبر وهما أسباب الخلاف ظاهرة من الآن يشهد بها توتر العلاقات بين أمريكا واليابان بسبب منافسة البéal . على أنا لو فرضنا امكان تحقيق فكرة الولايات المتحدة الأوروبية أيمنع اتحادها الحرب بينها وقد علمنا التاريخ القديم ما كان من الحروب بين الولايات اليونانية رغم اجتماع مندوبيها في مجلس الانفا كتيون الذي لا يختلف في شيء عن مجلس عصبة الأمم . والتاريخ الحديث يعلمنا ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية وفي سويسرا . حيث كادت الحروب الداخلية تمزقها .

وإذا حاولت عصبة الأمم السيطرة المطلقة على الدول أضاعت استقلال هذه الدول . ولا يمكن أن تصل إلى ذلك . وكذلك لن تجد سبيلاً للتسوية بين الممالك العظمى والصغيرة . وكفى عصبة الأمم لصيانة السلم العام أن تعنى بالمحافظة على المعاهدات واحترام الاتفاقات الدولية والوقوف بكل دولة عند حدودها المقررة . إن عصبة الأمم لا تعتمد على قوة السلاح بل على قوة الرأي العام . فهي في حاجة إلى تعضيد جميع الأمم . فكل ما ترجوه أن يتف الرأي العام على حقائق الأمور وأن يكون عوناً لعصبة الأمم على صيانة السلام أو على الأقل لتفسيح للشعوب النائرة مجال التفكير والعودة إلى الصواب .

سياسة الغد

علمنا مما تقدم أن مهمة السيانسي الدولي ستكون في المستقبل غيرها في الماضي . فقد تغيرت العلاقات بين السفراء والوزراء عما كانت عليه . كانت العادة فيما مضى أن يعطى السفير تعليمات مكتوبة تتضمن الحالة العامة في أوروبا ولم يخصص

سياسة حكومته والاغراض التي ترمى اليها ولم يكن في وسع السفير أن يجيد عنها في زمن لم تكن المواصلات بينه وبين رئيسه ميسورة . لذلك كان يضطر عند مفاجأة الحوادث أن يبذل ما في مقدوره من قوة ودهاء .

ولكن التليفون والتلغراف قد يسرا المواصلات وسهلا الخبايرة بين الوزير والسفير وبدأت رغبة الوزير في العمل بنفسه مباشرة ولكن هذه الطريقة لا تخلو من خطر في الحوادث المستعجلة ، إن الغرض من وجود وسطاء لا يستطيعون الفصل في الامور بأنفسهم بين الحكومات هو اكتساب الوقت لاحكام الروية والامعان في التفكير . على أنه مهما تكن رغبة الوزير في تناول الاعمال الدولية بنفسه لا يستطيع النظر في جميعها وعليه لا بد له من رقيب هنالك ينقل اليه دقائق وتفصيلات الحوادث . لذلك نحسب أن مهمة السياسي الدولي لم تنته . غير أنه مطالب اليوم أن يعنى بالحالة الحاضرة وما تنطوي عليه من أغراض .

وليس معنى هذا الغاء سياسة قديمة وإيجاد سياسة جديدة . أن جوهر السياسة باق وإنما يتغير منها الظاهر . وسيكون لكلمات الفضلاء من السفراء أثرها في الحوادث . قل تيمير . لا توجد مسائل خطيرة ومسائل غير خطيرة . لا يوجد سوى مسائل . إن التاجر الصغير يحتاج في تجارتها الى ما يحتاج اليه المفاوض من الدقة والمعرفة . وقال لورد جريفة أن حرب سنة ١٩١٤ أحدثت هوة سحيقة بين عهدين للسياسة الدولية . إن الذين عاشوا وعملوا قبل سنة ١٩١٤ يجدون اليوم أنفسهم أمام حوادث وشؤون جديدة يلتبس عليهم فهمها . لقد انتقل جانب من ادارة الاعمال الى الشباب وستنقل اليهم كلها وهؤلاء اقدر منا على فهمها . لا يجب ان نعتقد اننا لما نعرف من شئون الماضي احد منهم نذرا الى المستقبل . وكل ما نستطيع عمله هو ان تقدم اليهم خبرتنا وآراءنا لعلمهم يفيدون منها شيئا .

ان الذي يتقدم بالانسانية اليوم هو روح الديمقراطية لاتدابير السياسيين وخطابهم فعلها ان تعرف الى اين تسير .

لقد أدت الهيئات السياسية للانسانية اجل الخدم . أما النظم التي أسست في جنيف ولاهاي فمن شأنها أن تحمنا على تعجيد ذكري الذين دعوها وأقاموا أسسها